

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكديبا وعنادا { ويقولون متى هذا الفتح } أي متى تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتا علينا وينتقم لك منا فمتى يكون هذا ؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين قال الله تعالى : { قل يوم الفتح } أي إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة { لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون } كما قال تعالى : { فلما جاءهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم } الايتين ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلام الطلقاء وقد كانوا قريبا من ألفين ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى : { قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون } وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله { فافتح بيني وبينهم فتحا } الآية وكقوله { قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق } الآية وقال تعالى : { واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد } وقال تعالى : { وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا } وقال تعالى : { إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح } .

ثم قال تعالى : { فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون } أي أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك كقوله : { اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو } الآية وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعد وسينصرك على من خالفك إنه لا يخلف الميعاد وقوله { إنهم منتظرون } أي أنت منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر { أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون } وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرتك وتأيدك وسيجدون غم ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

آخر تفسير سورة السجدة والله الحمد والمنة